(فضائل شهر رمضان)

الحمد لله ذي الفضل والإحسان، الذي أنعم علينا بشهر رمضان، وأكرمنا فيه بالعفو والغفران.

وأشهد أن لا إله إلا الله أنزل القرآن في رمضان هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان.

وأشهد أن سيدَ الأنام النبيُ العدنان، أنقذنا الله به من النيران، وفتح الله به أبواب الجنان، فاللهم صل عليه بدوام ملكك يا رحمن.

أما بعد،،،

فقد اقتضت حكمة الباري سبحانه أن يعلي قدر شهر رمضان على غيره من الشهور، وأن يجعل العمل الصالح فيه سببًا للسعادة والسرور، ونجاة في الدنيا ويوم النشور، وعلى أعتاب شهر رمضان نرحب بضيف غالٍ ذي مقام عالٍ، نتلمس بركات الشهر، ورحمات الله على خلقه في هذه الأيام المباركة.

فببركة شهر رمضان، تُغفَر ذنوب العام كلها، عن أبي هريرة؛ أن رسول اللَّهِ ρ كَانَ يَقُولُ: "الصلوات الخمس، والجمعة إلى الجمعة، ورمضان إلى رَمَضَانَ مُكَفِّرَاتٌ مَا بَيْنَهُنَّ إِذَا اجْتَنَبَ الْكَبَائِرَ". صحيح مسلم.

قال الإمام النووي: إِنْ وجدَ مَا يُكَفِّرُهُ مِنَ الصَّغَائِرِ كَفَّرَهُ وإلا كتِبَتْ بِهِ حَسَنَاتٌ وَرُفِعَتْ بِهِ دَرَجَاتٌ، وقيل: إن الطاعات كالأدوية وإن الذنوب كالأمراض فبما أن لكل داء دواءً، فكذلكَ لكل ذنب طاعة تكفره.

وصيام رمضان يعادل صيام الدهر كله، عن أبي أيوب الأنصاري أن رسول الله ρ قال: (مَن صامَ رمضانَ ثُمَّ أَتْبَعَهُ بِسِتٍّ مِنْ شَوَّالٍ كَانَ كَصِيَامِ الدَّهْرِ) رواه أبو داود.

والمعنى: أتبع رمضان بست من شوال كان كصيام الأبد إذا اعتاد ذلك كل عام مدة عمره؛ لأن الحسنة بعشر أمثالها، هل يحصل هذا الثواب – مثلًا – لمن صام شهر ذي القعدة وأتبعه بست من ذي الحجة؟ لا؛ لأن هذه العطية الربانية خاصة برمضان.

ولأجل ذلك فقد عمَّر الصحابة العام كله برمضان، فقبل رمضان بستة أشهر يدعون الله أن يبلغهم رمضان، وبعده بستة أشهر يدعون ربهم أن يتسلم وأن يتقبل منهم رمضان.

ولأجل هذا أيها الصائمون فأنتم مع شهر عمَّ خيرُه غيرَه من الشهور فاقدروا له قدره.

وفي شهر رمضان إشراقات لم تكن إلا في هذا الزمان المبارك، ولو لم يكن فيه من الخير إلا إنزال القرآن لكفى، ولم يُذكَر في القرآن الكريم شهر باسمه صراحة إلا هو، قال تعالى: (شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ هُدى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْهُدَىٰ وَٱلْفُرْقَانِۚ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُۖ) [البقرة: 185].

وقد ورد في الأثر أن الكتب السماوية كلها نزلت في رمضان، ثم نزل القرآن مفرقًا على رسول الله ρ في ثلاث وعشرين سنة.

وقد هيَّأ الله سبل الخير والإعانة على الطاعة لعباده في رمضان، عن أبي هُرَيْرَةَ قَالَ رَسُولُ اللهِ ρ: «إِذَا دَخَلَ رَمَضَانُ فُتِّحَتْ أَبْوَابُ الْجَنَّةِ وَغُلِّقَتْ أَبْوَابُ جَهَنَّمَ وَسُلْسِلَتِ الشَّيَاطِينُ» متفق عليه.

وفيه ليلة القدر، مَن حُرِمَ خيرها فقد حُرِمَ الخير، وفيه ثلاث فرص للغفران (صيام رمضان، قيام رمضان، قيام ليلة القدر).

ومضاعفة الثواب في رمضان ترتقي بالعمل من مرتبة لمراتب أعلى، فعن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله ρ قال: «إِنَّ عُمْرَةً فِي رَمَضانَ تَقْضِي حَجَّةً مَعِي».

وهو شهر العتق من النار عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ρ: ولِلهِ عُتَقَاءُ من النَّارِ، وَذلكَ كُلَّ ليْلةٍ" رواه الترمذي.

ولهذا خصه ρ بمزيد كرم، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللهِ ρ أَجْوَدَ النَّاسِ، وَكَانَ أَجْوَدَ مَا يَكُونُ فِي رَمَضَانَ، حِينَ يَلْقَى جِبْرِيلَ، وَكَانَ جِبْرِيلُ يَلْقَاهُ فِي كُلِّ لَيْلَةٍ مِنْ رَمَضَانَ، فَيُدَارِسُهُ الْقُرْآنَ، فَلَرَسُولُ اللهِ ρ أَجْوَدُ بِالْخَيْرِ مِنَ الرِّيحِ الْمُرْسَلَةِ. مسند الإمام أحمد.

فكونوا أجود وأكرم على أنفسكم بفعل الطاعات، وأكرموا أهلكم وأقاربكم في شهر القربات.

رمضان شهر جامع جمع الله فيه ألوانًا من العبادات والطاعات، التي يتسارع المسلمون ويتسابقون في اغتنامها، ففيه الصيام والقيام، وزكاة الفطر والاعتكاف، ويعقبه فرحة العيد يوم الجوائز، فيا أيها الراغبون عفو ربكم (سَابِقُوٓاْ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ) [الحديد: 21].

أيها المسلم شهر رمضان واحد في حياتك يرفعك الكثير من الدرجات، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: كَانَ رَجُلَانِ أَسْلَمَا مَعَ النَّبِيِّ ρ، وَاسْتُشْهِدَ أَحَدُهُمَا، وَأُخِّرَ الْآخَرُ سَنَةً. قَالَ طَلْحَةُ بْنُ عُبَيْدِ اللهِ: فَأُرِيتُ الْجَنَّةَ، فَرَأَيْتُ الْمُؤَخَّرَ مِنْهُمَا أُدْخِلَ قَبْلَ الشَّهِيدِ، فَتَعَجَّبْتُ لِذَلِكَ، فَأَصْبَحْتُ، فَذَكَرْتُ ذَلِكَ لِلنَّبِيِّ ρ ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ρ: " أَلَيْسَ قَدْ صَامَ بَعْدَهُ رَمَضَانَ وَصَلَّى سِتَّةَ آلَافِ رَكْعَةٍ – أَوْ كَذَا وَكَذَا رَكْعَةً – صَلَاةَ السَّنَةِ " رواه أحمد بسند حسن.

وفي رمضان عمَّر الله لنا أوقاتنا بالطاعة، بداية من أكلة السحر حتى صلاة التراويح، فقد جمع لنا مولانا بين فرض الصيام ونافلة القيام، وفي هذا إشارة عظيمة وفائدة جليلة في تكامل وتواصل الطاعات ليلًا ونهارًا.

ويمكن أن نقول: رمضان شهر الكمال بدليل أن مَن صام رمضان وأتبعه بست من شوال كان كمن صام الدهر كله، فلم يطالبنا ρ بصيام سبعة أيام من شوال لو كان رمضان ناقصًا وستة أيام من شوال لو كان رمضان كاملًا.

بدليل قوله ρ: "شَهْرَانِ لَا يَنْقُصَانِ؛ شَهْرَا عِيدٍ، رَمَضَانُ وَذُو الْحَجَّةِ" متفق عليه. والمعنى: لا ينقصان في الفضيلة إن كانا تسعة وعشرين أو ثلاثين. فلو جاء رمضان تسعة وعشرين يومًا ففي ميزان حسناتك أيها المسلم ثلاثون يومًا، وقيل: لا ينقصان معا، إن جاء أحدهما تسعة وعشرين يومًا جاء الآخر ثلاثين يومًا.

أبعد كل هذا الخير وتضيع رمضان منك وتفوّت على نفسك الغفران والعتق من النيران! وتقصر في الصيام واغتنام الأيام وتقضي يومك في القيل والقال وإضاعة الحسنات!

وختامًا فقد كان شهرُ رمضان شهرَ الانتصارات عبر تاريخ الإسلام الحافل، فلنجعل منه انتصارًا على شهواتنا وأهوائنا ولنحرص على أن نصحب كل لحظة من رمضان بأنواع الطاعات وأهم القربات.

نسأل الله أن يوفقنا وإياكم لاغتنام رمضان، وأن ينعم علينا وعليكم بصحبة خير الأنام.

كتبه فضيلة الشيخ / محمد حسن عبد العظيم مبعوث وزارة الأوقاف المصرية إلى البرازيل.